تتحكم بالثورة الفلسطينية لا تنفصل عن العقلية التقليدية العربية القديمة، والتي هي سبب النكبات العربية، و«شعار تحرير فلسطين خارج العمل الوحدوي والوحدة اقترن بالاقليمية الجديدة، وعبر عنها، والقطاعات التي تبنت هذا الشعار، واعلنت مبدأ تحرير فلسطين اولاً، وبشكل تبشيري عبر استراتيجية اعتباطية، لا تملك من ادوات التحرير المستقل ما يدعم، من قريب او بعيد، هذا التحرير»(٧٢).

والاستراتيجية الاعتباطية التي يعنيها البيطار هنا، هي استراتيجية حرب التحرير الشعبية، او ما سماه بالفكر المقاوم، والذي اعتبره «اعلى مراتب الفكر التبشيري». فهو ـ في نظر البيطار ـ فكر يستمد الثورة من الاشواق والتصورات الذاتية، وليس من الواقع الملموس، «انه فكر جعل التخريج اللفظي يركب الوعي واستخرج حربه الشعبية من لفظة التحرير»(٧٣). واسباب النقد الذي وجهه البيطار الى استراتيجية حرب التحرير الشعبية تعود الى ان الثورة الفلسطينية تريد ان تطبق استراتيجية لا تتوافق مع الظروف الطبيعية والموضوعية في فلسطين. والبيطار، هنا، يعتبر حرب التحرير الشعبية مقتصرة على الفلسطينيين، وعلى فلسطين، فقط؛ وعليه يرى ان عدم نجاح حرب التحرير الشعبية يعود الى:

١ ـ ارض فلسطين ارض مكشوفة تفتقر الى الجبال والادغال والغابات والمستنقعات التي تسمح بتشكيل قواعد ارتكازية للفدائيين.

٢ ـ ارض فلسطين صغيرة الرقعة، وهذا يعني عدم توفر القدرة على الحركة للمقاتلين. (ألا يمكن ان تكون الاراضي العربية المجاورة بمثابة قواعد انطلاق ؟).

٣ ـ طبيعة الحدود التي تفصل فلسطين عن البلاد العربية المجاورة تسمح للعدو التحكم فيها واحكام قبضته عليها، مما يمنع حرية الحركة للمجموعات المقاتلة (وكأن دور الجيوش العربية هو دور المتفرج فقط !).

٤ ـ قلة عدد سكان فلسطين العرب لا توفر فرصة للمقاتلين بضرب العدو والاختفاء بين السكان. وانعزال السكان العرب عن اليهود يزيد من صعوبة الوضع.

٥ ـ طبيعة الاحتلال الصهيوني، كاحتلال استيطاني اجلائي.

٦ ـ الحروب الشعبية التي نجحت كانت ضد محتل اصيب بهزيمة عسكرية ساحقة في حرب عالمية، او حيث العدو يواجه معارضة داخلية شديدة ضد سياسته.

من الواضح، هنا، ان البيطار ينطلق من اساس غير مؤكد، وهو اقليمية الثورة الفلسطينية، وان الفلسطينيين سيحاربون وحدهم لتحرير فلسطين، وهو الامر الذي لم تؤكده أي من ادبيات الثورة الفلسطينية. وانطلاقاً من هذا التصور لدى البيطار، فهو يعتبر ان حرب التحرير الشعبية «الفلسطينية» فاشلة، لان الثورة الفلسطينية لن تستطيع، بأي شكل من الاشكال، ان تحرر فلسطين، ويجب «ان لا نطلب منها المستحيل. يجب ان لا نلقي على كاهلها مهمة لا تستطيعها، مهمة ترتبط بالعرب اجمعين، بالامة العربية كلها»(٧٤).

ومن هنا، فان طرح المقاومة الفلسطينية لحرب تحرير شعبية ـ في نظر البيطار ـ يعبر عن العقلية العشائرية، والثورية اللفظية التي كانت سبباً في هزائم العرب العام ١٩٤٨، و١٩٦٧. اما الدور الحقيقي للمقاومة الفلسطينية، كما يحدده الكاتب، فهو دور التخريب والتعثير للعدو واستنزاف قواته، الى حين قيام الحرب النظامية العربية التي هي، وحدها، القادرة على تحرير فلسطين(٧٥).